في الصراع الدائر على الساحة الفلسطينية. ومع ذلك، تصدى الفلسطينيون بعناد للتحرك البريطاني الصهيوني، وحققوا ميدانياً أكثر من نجاح، إلى أن جاءت خديعة الرؤساء والملوك العرب بالإيعاز إلى الفلسطينيين بالتوقف عن القتال والانتقال إلى البلدان العربية المجاورة، لإفساح المجال لجيوش الأنظمة كي تعبر الحدود. فكان ما كان من خيانة سافرة نتج عنها التشرد والحصار والقهر، وارتفاع بيارق الاغتصاب فوق أكثر فلسطين؛ الأمر الذي استفظعه الشرفاء من هذه الأمة في الوطن والمغتربات. توقعوا التحرير الكامل للتراب الفلسطيني فأسفر تدخل جيوش الأنظمة عن اقتلاع مليون مشرد منتشرين في المخيمات.

هذا الجرح النازف في جسم الأمة، إنما يتحمل وزره أرباب المناصب، أصحاب البيانات والشعارات لا أهل فلسطين، وهذا ما تبينه زكي قنصل، بعد سنة من عام النكبة، حيث قال في قصيدته «ملوك الكلام» مخاطباً فلسطين:

ما توانى عن الجهادِ بَنوك ... يشهدُ اللهُ لا، ولا خذلوكِ
الزعاماتُ وَحدَها جانياتٌ ... فاسأليها عن عِرضكِ المهتوكِ
يا فلسطينُ ما يئسنا ولكنْ ... ضاعَ إيمانُنا بِمَنْ ضيَّعوكِ
ولَغُوا في دماكِ ثم تَبارَوا ... يتباكَوْنَ للدَّمِ المسفوكِ

إن مسح لطخة العار لا تكون بالخطابات ولا بالشكاوى والتوسلات، بل بالقوة التي وحدها تُحِقُّ الحق:

عُدَّةُ الحرب مدفعٌ لا خطاب ... لا تقيسوا بلاغةً بِرَكيكِ
يشهدُ الله ما ضعفتم ولكن ... أعْوَزَتْكُمْ عقيدةُ اليرموكِ

إن النصر على الأعداء لا يحققه إلا سيف الحق القاطع، فيه يبزغ الفجر الجديد:

فأعِدِّي للثأر ظِفْراً ونابا ... يتراءى فجرُ الخلاصِ الوشيكِ
لن تموتي وفي يمينكِ سيف ... وَرِثَتْهُ الأجيالُ عن ماضيكِ[٣]

وينام الطفل الفلسطيني في مخيم الذل والقهر يتيماً في كنف أم ترعاه وتغذيه بالحقد والثأر ممن قتلوا أباه وسلبوا أرضه.

عينان تعتلجانِ بالنارِ ... ويدٌ تَخُطُّ وَصِيَّةَ الثّار
الحِقْدُ يُوحيها ... والجرحُ يُمليها
وعلى الحروفِ الراعفاتِ دماً ... الهادراتِ تخالُها حِمَما
تَنْزُوْ حشاشةَ ... لاجيءٍ بالِ

هذا الطفل هو صانع الأمل الآتي، وهذه الأم هي صانعة الزمن القادم، إنها تغرس في نفس طفلها روح الانتقام؛ إذ تقول له: